

المرض بين "المكتوب" و "منطق" المصيبة

د.بومدين سليمان
أستاذ محاضر-قسم علم
الاجتماع- جامعة سكيكدة-الجزائر.

ملخص

يهدف هذا المقال إلى تحليل فكرة " المكتوب " كمرجعية لتفسير ظاهرة المرض. إذ يكتسى مثل هذا التفسير أهمية بالغة لأنه يسمح بدراسة كيف " يبني " المرضى تصوره لحالتهم المرضية، على اعتبار ان هذا البناء هو الذي يحدد في الغالب مسارهم العلاجي.

لقد استعان الإنسان منذ فجر التاريخ بالمقدس و الديني في مواجهته للأمراض و الكوارث، فهو الكائن الوحيد الذي يتساءل حول معجزة الحياة و الموت و الخلق، لذلك أعتبر المرض حيناً على أنه غضب من الآلهة، كما اعتبر عقاباً أو ضربية تدفع مقابل ذنب فردي أو جماعي أو اختراق لإحدى المحرمات حيناً آخر.

لذلك نجد أن المرض يأخذ معاني اجتماعية مختلفة تتباين من ثقافة لأخرى، فهناك من يتناوله ضمن منطق المصيبة العامة كما هو الأمر في بعض الثقافات الأفريقية، و هناك من يفسره ضمن إطار السحر أو الدين. و في الثقافة العربية

Résumé

Dans cet article, nous allons analyser le Mektoub (le destin) en tant que registre explicatif et interprétatif de la maladie. Cela nous paraît important dans la mesure où il permet d'étudier la façon dont les malades construisent la réalité d'un état pathologique et de rendre compte du rôle important de ces représentations dans l'orientation des patients vers telle ou telle thérapeutique.

الإسلامية، فإن المرض كثيرا ما ينظر إليه كظاهرة عادية لا مفر منها، لأنها مسجلة في مصير الإنسان. و الصحة هبة زائلة يجب أن يتعامل معها الإنسان بكل تواضع، لأنها لا يمكن إلا أن تكون نسبية، انتقالية و عابرة، و تذكر الموت يجب أن يلزم المسلم باستمرار، لأن الحياة على وجه الأرض هي حياة مؤقتة و زائلة، و الموت هو المصير المحتوم لكل الكائنات.

قال تعالى : **"كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام"** (1).

و المؤمن بالله عليه أن يقبل المرض و الموت بصبر و أناة لأنها (مكتوبة).

فما هو المكتوب ؟ و لماذا يرجع الناس دائما إلى المكتوب لتفسير حادثة أو مصيبة؟

و ماذا يعني الناس بقولهم :

للمكتوب ما منو هروب.

لحذر ما يغير لقدر.

للمكتوب على الجبين ما يحويه اليدين .

للمكتوب في الجبين لازم تشوفو العين.

يشير المكتوب عادة في أذهان الناس إلى شيء لا يمكن التحكم فيه، شيء يواجه حياتهم أو قوة لا شخصية لا يمكن الإفلات من قبضتها، فالإنسان مهما بلغت درجة حذره، لا يمكنه إلا أن يكون خاضعا مستكينا لمكتوبه.

لا يذكر عادة المكتوب في الثقافة العربية الإسلامية دون الرجوع إلى اللوح المحفوظ الذي جاء ذكره في القرآن الكريم: **" و الله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ"** (2).

و يكتسي اللوح المحفوظ أهمية بالغة خاصة لدى بعض الفلاسفة الصوفيين الذين يعتبرونه مصدر المعرفة الأول في استكشاف الحق، و يقول أبو حامد الغزالي في هذا الموضوع: **"و حقيقة القول أن القلب مستعد لأن تتجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، و إنما حيل بينه و بينها بأسباب ، فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب و بين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة و تجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب، يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها و الحجاب بين المرأتين تارة يزال باليد و الأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه، و كذلك قد تهب رياح الألفاظ و تنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح**

المحفوظ و يكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل و تمام ارتفاع الحجاب بالموت، فيه ينكشف الغطاء و ينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم⁽³⁾.

وفقا لهذا المنظور، فإن الصوفيين يعتقدون أن التأمل و حب الله و التخلي عن ملذات و هموم هذا "العالم الأسفل" تسمح للمتعبد بالإطلاع على ما هو منقوش في هذا اللوح السري.

و لما كان الله سبحانه و تعالى هو الخالق للعباد و لأفعالهم، و أن كل ما وقع أو سيقع قد سبق به القضاء و القدر وفق ما سبق به علمه سبحانه، لا فرق بين جليل و حقير. وكما أن الأجل لا يتقدم و لا يتأخر، كذلك الصحة و المرض و الغنى و الفقر والحركة و السكون و الدواء و الشفاء و الاحتماء و الاحتراز.

فجميع أحوال الكائنات مقدرة، و أن الحق سبحانه أخفى فعله عن نظر عباده وجعل الأسباب و العلل مظهرا لكل ما ظهر في الوجود. و أمر سبحانه بأن لا يخالف المؤمن مقتضى حكمته و أن لا يغتر بظواهر الأسباب و أن لا يسند التأثير لغيره سبحانه و هو المصرح به في الآيات :

قال تعالى: **قُلْ لَنْ يَصِيَّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا، وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (4).

و قوله تعالى: **"فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ، وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى"** (5).

و قوله تعالى: **"وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ"** (6).

و قوله تعالى في سورة الطلاق: **"إِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِهِمْ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"** (7).
و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطئك لم يكن ليصيبك"، و في حديث نبوي آخر، قال المصطفى: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خماسا و تروح بطانا" (8).

و يقول الإمام الشافعي في أبيات شعرية:

و من نزلت بساحته المنايا
و أرض الله واسعة و لكن
فلا أرض تقيه و لا سماء
إذا نزل القضا ذاق الفضاء
دع الأيام تغدر كل حين
فما يغني عن الموت الدواء

و هكذا نلاحظ المكانة الهامة التي يحتلها المكتوب في الدين و في الفكر الإسلامي، فهو حجر الزاوية في تصورات الناس للصحة و المرض و الشفاء و الموت. (كاتبة) هي الكلمة التي تتردد على أفواه الجزائريين بشكل عام سواء كانوا أميين أو متقنين، ريفيين أو حضريين رجالا أو نساء. و هو التفسير الذي يعطى لحادث سيارة و للمرض البسيط و المزمن، و للزلال المدمر.

فالمرض بالنسبة للجميع هو من صنع الله، فهو المسؤول عن كل خير و شر، وهو الذي يهب الحياة و الموت، و يسير كل أمر وفق قضائه و علمه، قال تعالى: **"يُكَمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحِمَكُم و إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبَكُم و مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا"** (9).

و قد فهم البعض الآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة السابقة فهما خاطئا واعتبروا التداعي و الوقاية أو الاحتراس من الأمراض فرارا من قضاء الله و قدره.

غير أن الأغلبية من الناس لا يعني تصورهم السابق عن المكتوب السلبية والاستسلام، فالإيمان بالمكتوب يعني قبل كل شيء إدراك المرض كظاهرة عادية لا مفر منها و استقباله بعد ذلك كإمتحان يجب تحمله بصبر و جلد و أناة مستعملين في ذلك كل الوسائل الممكنة و المتاحة لإيجاد الدواء الناجع. فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "تداووا: فإن الله عز و جل لم يضع داء، إلا وضع له شفاء، غير داء واحد. قالوا: ماهو؟ قال: الهرم"⁽¹⁰⁾.

إن قدرة الله وسعت كل شيء، و يشعر المؤمن بذلك كقوة حماية و خلاص و دعم و شفاء لكل مخلوقاته مهما كانت درجة خطورة مرضه، و حالة اليأس التي يوجد بها، فانه في تصور المرضى هو الطبيب الأكبر، لذلك نسمع المرضى و هم يدعونه باستمرار "يا ربي شوف لحالتي"، "يا ربي أعف علي".

و عندما يحصل و أن يشفى المريض من مرضه، فالفضل الأول يعود لله حتى وإن كان هناك اعتراف بدور الأطباء، الذي يعتبر دورا ثانويا. لذلك تتردد عندنا عبارات

"الطبيب وسيلة في يد ربي"، "ربي خلق الداء و الدواء"، "الأعمار بيد الله"، و عندما نسأل عن مريض يجيب البعض "إنه بين يدي الله".

كما يخرج بعض الجزائريين "صدقات" عندما ينجون من حادث مرور أو مرض شكرا لله الذي أنقذهم من الموت المحقق.

إجمالاً يمكن القول أن الإيمان بقضاء الله و قدره لا يعني الاستسلام و الانهزام أمام متطلبات الحياة، و على المؤمن أن يعلم أن الأمور به هو دفع الأذى و موجبات الموت و الهلاك عن النفس باليد و السلاح، فيما يمكن فيه ذلك، بالتداوي و الاحتماء ونحوهما، مع أن الله هو الخالق للدواء و أثره، و أنه لو لم يستعمل ذلك الدواء -مثلاً- فإن الأثر الذي هو الشفاء يحصل في ذلك الوقت بعينه، إلا أنه الحق -سبحانه- قضى بوقوع ذلك الشفاء في صورة نتيجة، عند استعمال ذلك الدواء فلا محيص للمريض عن استعماله⁽¹¹⁾ قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات و انفروا جميعا"⁽¹²⁾.

و قال سبحانه و تعالى: "و أعدوا لهم ما استطعتم"⁽¹³⁾.

و قال تعالى: "و انفقوا في سبيل الله. و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة و احسنوا إن الله يحب المحسنين"⁽¹⁴⁾.

و نخلص إلى نتيجة الرئيسية التي مفادها أن التوكل على الله و نبذ الأسباب، وكون الإنسان بين يدي الله كالميت بين يدي غاسله لا تعني أبدا ترك الكسب و التداوي و الاستسلام للهلاك، فذلك خطأ بل حرام⁽¹⁵⁾.

إنه إذا كان المسلم يرجع إلى دينه ليجد تفسيراً لما يحدث له فإن شعوباً أخرى تفسر الصحة و المرض بمنطق مختلف و هو منطق سوء الطالع L'infortune المنتشر لدى الكثير من الشعوب الإفريقية، ففي هذا السياق وجد لابلونتين Laplantine من خلال أبحاثه " أن تلك المجتمعات تعرف جيداً أن التسمم المعوي، مثلاً، إنما يترتب عن ابتلاع أغذية مضرّة، أو أن الفرد يموت عندما يتوقف قلبه عن النبض لكنها ترى -كما نرى- أن الحتمية الطبيعية يضاعفها مصدر للمرض أشد حسماً، و من ثمة فهو يستدعي تفسيراً آخر، و هذا التفسير يتم إشراكه بمعقولية، بمنطق و تماسك و هذا التفسير لا يدير ظهره للعلم بتاتا كما طالما تم اعتقاده، بل قد يرتكب خطيئة الإفراط في الإيمان بالحتمية. و مثل هذا الموقف يؤكد، بأن لا أحد يصاب صدفة بالمرض و أن ما من شيء إلا و له علة و أن ما من شيء إلا و يميل على نظام معين، فالمرض حالة خاصة لمنطق عام هو

منطق المصيبة. و يمكن فهم ذلك بالطريقة التالية : إن الأسباب التي تؤدي إلى مرض فرد من الأفراد تنحدر من المصدر نفسه الذي يؤدي إلى عقم أحد الزوجين أو فشل في أشغال الغراسة أو الخصومات داخل القرية و فوق كل شيء إلى الموت⁽¹⁶⁾ .

فالمرض هنا لا يعاش - شأنه في ذلك شأن سوء الحظ و المصيبة عموما - أبدا باعتباره ظاهرة قابلة للعزل، أتت لتصيب فردا معينا، بل يعاش دائما و يفهم باعتباره تلاشيا للروابط الاجتماعية التي يعتبر المريض ضحيتها، و أكثر من ذلك فهو علامة ونتيجة لفقدان توازن و اضطراب للعلاقات التي ترتبط عبرها القرية بنفسها و التي تقع خارج المريض. و المرض يرتبط إما بانتهاك لممنوعات الأجداد والجن، أو بفعل يعتبر شريرا و يقوم به فرد ما فيتعرض للتهميش و بالتالي يمنح وضع باييفوي Bayéfoué أي ساحر. إن هذا "الشيء ما" هو الذي يطفح بدون توقف المريض و المرض الذي يصيبه أو كما يقول الباوليون الذي يقبض عليه⁽¹⁷⁾ .

و هناك مثال آخر نستعيده من إيفانس بريتشارد Evans-pritchard، و هو عبارة عن حكاية وردت في كتابه **الشعوذة، مهبط الوحي والسحر** Sorcellerie, oracles et magie chez les azande، و تعد تمرينا رائعا من تمارين "ترجمة الثقافة"، حيث يروي أنه يحدث أحيانا في بلاد الأزاندي أن ينهار قبو عتيق، و هذا أمر ليس فيه ما يدعو للاستغراب، فكل زاندي يعرف أن ديدان الخشب تنخر الدعائم، و أن أشد الأخشاب صلابة تقع تحت طائلة الفساد مع طول الزمن، و القبو بناء ثقيل مشيد بالعوارض و الطين، إنه مسكن العائلات الزاندية. فهو خلال فصل الصيف يشكل في وقت الهجير مكانا للجلوس و الترتة، و مزولة لعبة الثقوب الإفريقية، و مزولة بعض الأشغال الحرفية، كما أنه المكان الذي تخزن فيه الذرة البيضاء. و بذلك يمكن أن يكون بعض الأفراد جالسين تحته لحظة انهياره. لماذا كان أولئك الأشخاص أنفسهم جالسين تحت القبو لحظة سقوطه بالضبط؟ أن ينهار القبو فذلك أمر يسهل فهمه، لكن لماذا سقط في ذلك الوقت بالضبط عندما كان أولئك الناس بعينهم هم الجالسين تحته و ليس أشخاص آخرون؟ لقد كان بوسعه أن يسقط في أي وقت آخر، و إذن فلماذا لم يسقط إلا عندما كان الناس يتفياون ظلاله؟ نقول لقد سقط القبو لأن ديدان الخشب كانت قد نخرت دعائمه و فصلتها عن بعضها، ذلك هو السبب الذي يفسر انهيار القبو، نقول أيضا: لقد كان أشخاص يوجدون تحت سقفه في ذلك الوقت لأن الوقت كان وقت هجير، و لأن بعضهم قال لبعض: "تعالوا نتجاذب أطراف

الحديث و نعمل في مكان مريح" ذلك هو سبب تواجد أناس تحت القبو ساعة سقوطه. إن أي طريقة في فهم الأشياء مماثلة لطريقتنا سترى أن العلاقة الوحيدة الموجودة بين هذين الحدثين، اللذين تستقل أسبابهما عن بعضهما، إنما تكمن في تصادفهما في الزمان و المكان. فنحن لا نفسر لماذا تقاطعت السلسلتان السببيتان في لحظة معينة و في مكان معين مادام لا يوجد بينهما ترابط.

أما الفلسفة الأزاندية فتتوفر على الرابط الغائب، فالأزاندي يعرف أن ديدان الخشب قد نخرت الدعائم شيئاً فشيئاً، و أن الناس كانوا جالسين تحت القبو فرارا من حرارة الشمس لكنه يعرف فوق ذلك لماذا تولدت هاتان الظاهرتان بالضبط في لحظة زمنية واحدة، لقد تولدتا بسبب السّحر⁽¹⁸⁾.

و هكذا يتبين من خلال المثالين السابقين أن لكل ثقافة مفهومها عن المرض والصحة و الشفاء مفهومها يعبر عن قيم تعطي معنى لوجودهم، و بالنسبة للجزائري المسلم فإن الإيمان بالمكتوب يفضي إلى تبني استراتيجيات معرفية و تبريرية معقدة نذكر منها :

1- المرض العقوبة :

أن ينسب المرض إلى المكتوب لا يعني أبدا تبرئة المريض تماما مما يحدث له. فقد يأتي المرض عقب ارتكاب ذنوب و خرق محرمات، كعقوق الوالدين، فالسخرية أو الدعوة هي العبارة التي يستعملها الناس للتعبير عن الخلل الاجتماعي الناجم عن ارتكاب الذنوب كالعقوق مثلا.

إن الأسرة الجزائرية أسرة أبوية، فالأب يمثل أعلى سلطة بالمنزل، و أراؤه لا تُناقش في الغالب، و بإمكانه أن يحرم ابنه من الميراث و أن يتبرأ منه و أن يدعو عليه دعوة السوء. فتقاليدنا تقتضي مثلا بأن ينزل الابن عينيّه أمام والده، وإن لا يقاطعه و لا يعارضه، ولا يدخل بحضرته، و لا يقهقه أو يرفع صوته أمامه، و عليه أن يخضع له بدون نقاش حتى في قضايا الخاصة كالزواج و الطلاق أو حتى اختيار اسم ابنه. و نظرا للمكانة الخاصة التي يحظى بها الوالدين في الثقافة الإسلامية، فإن دعوتهما هي أخطر الدعوات على الإطلاق، لأنها تسبب الأمراض و المعاناة طول العمر. فالإساءة لهما تخلق قلقا و تهديدا لدى الأبناء، لأن لعنتهما قد تؤدي إلى سلسلة من المصائب تستمر إلى اليوم الآخر، كأن يصابوا بمرض خطير أو تشويه. و يعتقد أن "دعوة الوالدين تلحق الذرية"، أي حتى الأبناء و الأحفاد بعد ذلك، لهذا يعتقد البعض أن الحظ السيء الذي يطاردهم قد يعود إلى

دعوة قديمة، لأنه إذا مات الوالدين وهما غير راضيين عن ابنهما، فإن مستقبله يكون في الأغلب مظلماً، و يقول مثل قبائلي " إن الذي يسيء لوالديه يحمل الدعاوي تحت جناحيه⁽¹⁹⁾ ".

و هناك مثل آخر شائع يقول "إن الوالدين يظلموا و يفسسوا" بمعنى أن دعوتها تطل الابن حتى و لو كانا مخطئين بحقه، لذلك يدعو الناس دائماً بقولهم "يا رضىة الله و الوالدين".

فالمرض يدرك و يعاش قبل كل شيء كعلامة عن غضب الله و لقد سمع الباحث كثيراً من الناس بعد زلزال بومرداس و الجزائر العاصمة يقولون : " لقد كثرت ذنوبنا..."، " إن الفساد انتشر في تلك المنطقة"، "على فعائلنا "... إلخ.

فالفكرة التي ترى أن الله يعاقب المذنبين منتشرة بقوة لدى الناس، لذلك نسمع البعض ممن تنهال عليهم المصائب يقولون "واش درت تحت ربي..."، و في ذلك إشارة أن كل شيء سيئ يحدث للفرد إنما يأتي نتيجة لجرم ارتكبه هو أو أحد أقرابه، خاصة إذا كان الأطفال هم ضحايا تلك الأمراض أو المصائب، لعدم قدرتهم على اقتفاف أي ذنب، و نسمع الكثير من الناس من يردد عبارة "الذنب أو الذنابة" لتبرير المرض. و في حديث نبوي شريف " إذا أذنب المؤمن و لم يكن هناك وسيلة لتطهيره من ذنبه، سلط الله عليه المعاناة و المصائب⁽²⁰⁾ ".

يتضح من التصورات السابقة أن الجزائري بشكل عام يحمل جزء كبيراً مما يرتكبه من أغلاط لمصادر خارجية كدعوة الشر أو إبليس و مع ذلك فإنه في قرارة نفسه يؤمن أن الشيطان ما كان ليطلاله إلا بإرادة الله أي المكتوب، الذي يعني لديه كل شيء يحدث له منذ أن كان في بطن أمه إلى غاية موته. و لذلك وجب التسليم بإرادة الله بالإذعان و الحمد لله على كل حال، سبحانه لا يحمده على مصيبة سواه.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمل فالأمل، يُبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء، و إن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء".

و في الخبر أن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحكم ذهبه بالناس فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز و منهم دون ذلك و منهم من يخرج أسود محترقا، وفي حديث

عن طريق أهل البيت، إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه، فإن صبر اجتباه، فإن رضي اصطفاه⁽²¹⁾

2- المرض كتطهير أو تكفير :

يحمل المرض في بعض الأحيان معنى إيجابي لدى البعض، حيث يعيشه الفرد كمكفر أو مطهر، و في الثقافة الإسلامية يقال عند زيارة المريض "طهورا إن شاء الله" بمعنى أن ذلك المرض سيطهرك من الخطايا و الذنوب.

و عندما يتعرض الأتقياء من الناس للمصائب و الأمراض، نجد أن محيطهم يفسر ذلك على أنه تخفيف من عقاب الآخرة الذي يفوق بلا شك عقاب الدنيا بكثير، فعقاب الأولى دائم و عذاب الثانية زائل.

و في هذا الصدد يقول أبو حامد الغزالي: " و في كل فقر و مرض و خوف و بلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها و يشكر عليها، أحدهما أن كل مصيبة و مرض فيتصور أن يكون أكبر منها، إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى و زادها ماذا كان يرده و يحجزه، فليشكر إن لم تكن أعظم منها في الدنيا... و من عجلت مصيبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا، إذ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا،

فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا. إن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض⁽²²⁾ ".

لذلك يقال في الجزائر لمن تعرض لحادث ما، و ليكن حادث سيارة "هكذا و لا أكثر"، و هذا التصور يؤكد أن كل مصيبة تعفي الفرد من مصيبة أخطر منها. فمادام الفرد يجهل مكتوبه بالكامل فإنه لا يمكن اختصاره في مصيبة واحدة، بل يحافظ على الأمل في الشفاء إذا كان مريضا، فالشفاء أيضا من المكتوب، و يحمد الله على أنه لم يصبه بمصيبة أكبر منها، لذلك نلاحظ في المجتمع الجزائري من يخرج الصدقات إذا شفاه الله من مرض خطير أو أنجاه من حادث كنوع من الشكر.

إن المرض إذا نظرنا إليه من زاوية معينة على أنه ابتلاء أو اصطفاء فإن ذلك يخفف كثيرا على المريض و يزيد من تحمله و صبره و شجاعته⁽²³⁾.

و عندما يعزي المسلم مسلما آخر على موت عزيز له يقول "عظم الله أجركم" بمعنى أن المسلم ينال أجرا مقابل الابتلاء الذي يلحق به إن صبر و احتسب. كما نلاحظ

أن الجزائريين عندما يريدون التخفيف على شخص أصيب بخسارة في ممتلكاته المادية فإنهم يقولون " فيه و ماش في صحتك" أو "سلامة راسك" و في ذلك دلالة أخرى على أن الله كان سيصيبه في صحته ثم حيد عنه تلك المصيبة لتطال شيئاً مادياً يمكن تعويضه، و لذلك أيضا يدعو المسلم باستمرار بقوله :

" اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا"، فتلك هي أعظم مصيبة، و ما دونها من مرض و خسائر مادية فإنها تهون جميعا.

هذه النظرة للأحداث المؤلمة تنزع الطابع الدرامي عنها مما يخفف كثيرا من وقع المرض و الموت، و هو أمر مهم للمريض و محيطه لأن فهم ما يحدث لهم يخفف بدون شك من وقع الألم، خاصة إذا ما تبين أن سبب الأذى "خارجيا"، أي عندما يشعر الفرد أنه غير مسؤول أو غير مذنب في بدء الأحداث المؤلمة التي لحقت به.

فما دام الأمر بيد الله، فإن المريض غير مسؤول و هذه المشاعر التي تبرئ الفرد و تنتظر إليه كضحية ليست مقصورة على الجزائريين، بل هي ظواهر موجودة حتى في الدول المتقدمة كما بينت ذلك دراسات هرزليتش و بارسونز و جلوكمان⁽²⁴⁾.

المراجع

- 1- قرآن كريم، سورة الرحمن، الآية 26-27.
- 2- قرآن كريم، سورة البروج، الآيات 20، 21 و 22.
- 3- الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، عالم الكتب، دمشق، بدون سنة نشر، ص.16.
- 4- قرآن كريم، سورة التوبة، الآية 51.
- 5- قرآن كريم، سورة الأنفال، الآية 17.
- 6- قرآن كريم، سورة الأعراف، الآية 34.
- 7- قرآن كريم، سورة الطلاق، الآية 3.
- 8- خواجه حمدان: اتحاف المنصفين و الأدباء في الاحتراس عن الوباء، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968، ص.61.
- 9- قرآن كريم، سورة الإسراء، الآية 54.
- 10- ابن القيم الجوزية: الطب النبوي، دار الكتاب العربي، بيروت 2002، ط.2، ص.39.
- 11- خواجه حمدان، مرجع سابق، ص.60.
- 12- قرآن كريم، سورة النساء، الآية 71.
- 13- قرآن كريم، سورة الأنفال، الآية 60.
- 14- قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 195.
- 15- خواجه حمدان: مرجع سابق، ص.65.
- 16- لابلونتين فرانسوا: المسلمات المشتركة بين مختلف الأنظمة العلاجية التقليدية بإفريقيا، ترجمة محمد أسليم ،
<http://aslimnet.free.fr/traductions/abhath/abhath3.htm>. p.1
- 17- لابلونتين فرانسوا: نفس المرجع ، ص.3.
- 18- بريتشارد إيفانز: ارتجالية مفهوم السحر في الخطاب الأنثروبولوجي، ترجمة محمد أسليم .
<http://aslimnet.free.fr/traductions/abhath/abhath3.htm>.. PP.2.3.

- 19- Zerdouni Nafissa : Enfants d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel Algérien, ed ; François maspéro ; Paris 1982, P.265.
- 20- L'khadir Aicha: Mal, maladie, Croyances et thérapeutiques , le cas de Casablanca , Thèse nouveau régime en Ethnologie, Université de Bordeaux II, 1998. PP33-42.
- 21- الغزالي أبو حامد: مرجع سابق ، الجزء الرابع، ص 247..
- 22- الغزالي أبو حامد: مرجع سابق، الجزء الرابع، ص.ص.111-112.
- 23 L'khadir Aicha: op.cit. p.40.
- 24 -Ibid : p.42.